

شعر أبي العلاء

فصل في المكر في معانيه

فصل في سرقاته

فصل في مأخذ الشعراء من شعره

فصل في مقارنة بعض معانيه بمعاني غيره.

o
b
e
i
k
a
n
d
.
c
o
m

فصل فى المكرر فى معانيه

تكرير المعانى وقع لكثير من الشعراء، ولم نر أحداً عليهم به، إلا إذا كان المعنى فى نفسه ساقطاً مردولاً، يؤاخذ الشاعر عليه، فتكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى. ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له، فيعيده فى قصيدة أخرى؛ إما بتغيير قافيته، أو يجعل الصدر عجزاً، أو بالعكس. وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل، فإذا كان مأخوذاً من شعر الغير سموه: إبداعاً، أو تضميناً، على اختلاف بينهم فيه. ولم نقصد هنا التكلم عليه، بل اقتصرنا على ما كرهه أبو العلاء من معانيه.

فمنها قوله فى تشبيه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد:

سليمية من كل قتر يحوطها قتير نبت عنه الغوانى العوانس
تخيل أبصار الدبى فمسهد ومغف وشىء بين ذينك ناعس
كرره فقال:

كأن الدبى غرقى بها غير أعين إذا رد فيها ناظر يستبينها
وكرره فقال:

كأثواب الأراقم مزقتها فخاطبها بأعينها الجراد
وكرره أيضاً فقال:

بدلاص كأنها بعض ماء الثماد

حلة الأيسم خـيـطت بـعـيـون الجـراد

وكرره فقال:

أناكل درعى أن حسبت قتيها وقد أجدبت قيس عيون جراد

وقوله فى تشبيه الدرع بالمبرد

وما بردة فى طيها مثل مبرد بعاجزة عن ضم شخص وأوصال

كرره فقال:

مشاعة فى نشرها نهى مبرد ولكنها فى الطى تحسب مبرداً

وقوله:

ذكى القلب يخضبها نجيعاً بما جعل الحرير لها جلالات

كرره وبالغ فيه فقال:

غذاهن محمر قوارحاً كما كن يغذين الضريب مهارا

وقوله فى تشبيه فرند السيف بأثار ديب النمل:

ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مسخت نمالا

كرره فقال:

كأن المنايا جيش ذر عرمرم نخذن إلى الأرواح فيه مسارا

وكرره أيضاً فقال:

ما كنت أحسب جفناً قبل مسكنه فى الجفن يطوى على نار ولا نهر

ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشى على اللج أو سعى على السعير^(١)

وقوله فى تشبيه طحلب الماء باللثام:

وملتئم بالغفلق الجعد عرست عليه فلم تكشف خفى لثامه

وكرره فقال:

وكم أوردتها عدا قديماً يلوح عليه من خز خمار

وقوله:

فالنفس تبغى الحياة جاهدة وفى يمين المليك مسقودها

فلا اقتحام الشجاع مهلكها ولا توفى الجبان مخلصها

كرره فقال:

فكن فى كل نائبة جزيئاً تصب فى الرأى إن خطئ الهدان^(٢)

وسائل من تنطس فى التوقى لأية علة مات الجبان

وقوله:

تمتع أبكار الزمان بأيده وجئنا بوهن يعد ما خرف الدهر

كرر فقال:

كأنما الخير ماء كان وارده أهل العصور أبقوا سوى الفكر

وقوله:

(١) السعير: جمع سعير.

(٢) الهدان: الضعيف الجبان.

وكل يريد العيش والعيش حتفه
ويستعذب اللذات وهي سمام
كرره فقال:

تود البقاء من خيفة الردى
وطول بقاء المرء سم مجرب
وقوله:

وافقتهم في اختلاف من زمانكم
والبدر في الوهن مثل البدر في السمر
كرره فقال:

وما البدر إلا واحد غير أنه
ينيب ويأتي بالضياء المجدد
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة
فجملتها من نير متردد

وقوله في رثاء أمه:

مضت وقد اکتھلت فخلت أنى
رضيع ما بلغت مدى الفطام
وكرره في رثائها فقال:

دعا الله أما ليت أنى أمامها
مضت وكأنى مرضع وقد ارتقت
دعيت ولو أن الهواجر آصال
بى السن حتى شكل فودى أشكال

فصل فى سرقاته

هذا باب لم أقف عليه مجموعاً، فيسهل على تناوله، واستيفاء الكلام فيه؛ وإنما أذكر منه ما اتفق لى العثور عليه فى كتب الأدب عند كتابة هذه التبعة، واستخرجه الحاطر الكليل أثناء مطالعة ديوانه. وأبدأ بمآخذه من أبى تمام والبحترى وأبى الطيب المتنبى، ثم أذكر مآخذه من غيرهم من غير ترتيب.

فمن ذلك قول أبى تمام:

والحظ يعطاه غير طالبه ويحزر الدر غير مجتلبه
تلك بنات المخاض راتعة والعود فى كوره وفى قنتبه

أخذه أبو العلاء وأخرجه فى بيت واحد فقال:

هو الحظ غير الوحش يستاف أنفه خزامى، وأنف العود بالعود يخزم
وقال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام
أخذه أبو العلاء وزاد عليه، فقال:

فأضحوا حديثاً كالمنام وما انقضى فسيان منه يقظة ومنام
وقال أبو عبادة البحترى:

أخجلتني بندقى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى إننى متخوف ألا يكون لقاء

أخذهما أبو العلاء وضمن معناهما فى صدر بيته، فقال وأجاد:
لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط فى الخصر
وهذا البيت من معجزاته، إلا أنه أورده فى غزل القصيدة، وكان
مديحها أولى به.

وقال البحرى:

نشوان يطرب للسؤال كأنما غناه مالك طيء أو معبد
أخذه أبو العلاء وزاد فيه زيادة لا تخفى على الأديب، فقال:
فما ناح قمرى ولا هب عاصف من الريح إلا خاله صوت سائل
والبحرى جعل ممدوحه يطرب لصوت السائل، طرب المنتشى من المغنى
المجيد، وأبو العلاء جعله كلما سمع صوتاً من تطريب حمام، أو إزعاج
أرواح، خاله صوت سائل، لمزيد اعتنائه بالسؤال وولعه بالنوال.

وقال أبو الطيب المتنبى فى وصف فرس:

وأصرع أى الوحش قفتيه به وأنزل عنه مثله حين أركب
أخذه أبو العلاء فقال:

أصيل الجلد سابقه تراه على الأين المكرر مستريحاً

وقال أبو الطيب:

يقولون تأثير الكواكب فى الورى فما باله تأثيره فى الكواكب

أخذه أبو العلاء، فقال:

من قال إن النيران عوامل فبضد ذلك فى علاك يقول

يعملن فيما دونهن بزعمه ولهن دونك مطلع وأقول

قال شارحه أبو يعقوب النحوى: وقول أبى العلاء أرفع، لأنه جعل الممدوح فوق النجوم. انتهى.

وأقول أنا: إن أبا العلاء إنما شرح المعنى ووضحه، فبين أن علة عدم

تأثير الكواكب فى ممدوحه علوه عنها، وهذا مستفاد من قول المتنبى:

فما باله تأثيره فى الكواكب

لأن المؤثر فى العادة أعلى وأقوى من المؤثر فيه، ففيه معنى بيتى المعرى

وزيادة:

وقال أبو الطيب:

نحن بنو الموتى فما بالنأ نعانف ما لا بد من شربه

أخذه أبو العلاء فقال:

ما رغبة الحى بأبنائه عما جنى الموت على جده

وقال أبو الطيب :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل
أخذه أبو العلاء فقال :

وأفة العاشق فى طرفه وأفة الصارم من حده
وكلا البيتين فيه زيادة عن الآخر لا تخفى .

وقال أبو الطيب :

تمربك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
أخذه أبو العلاء، فقال :

يتهللون طلاقه وكلومهم بنهل منهن النجيع الأحمر
ويسته أبلغ فى المدح، لأن غاية المتنبى أ، وصف ممدوحه بتهلله عند
هزيمة جيشه، احتقاراً للأخطار. والمعرى جعل ممدوحيه يتهللون وهم
مصابون يقطر منهم الدم.

وقال أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمـره وزاد فى الأمن على سـربه
أخذه أبو العلاء فقال :

رددت إلى ملك الخلق أمرى فلم أسأل متى يقع الكسوف
فكم سلم الجهول من المنايا وعوجل بالحمام الفيلسوف

وقال أبو الطيب:

فى رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فسموه على الحاجبا
أخذه أبو العلاء فقال:

وقد سماه سيده عليا وذلك من علو القدر قال
وفى بيت المتنبي زيادة ساعد عليها لقب ممدوحه.

وقال أبو الطيب أيضاً:

أتى الزمان بنوه فى شبيته فسرهم وأتيناه على الهرم
أخذه أبو العلاء فقال:
تمتع أبكار الزمان بأيده^(١) وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر

وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفاهما متباعدان
أخذه أبو العلاء، فقال:
قد يبعد الشيء من شيء يشابهه إن السماء نظير الماء فى الرزق
وقال أبو الطيب:

وإذا خفيت عن العبي فعاذر أن لا ترانى مقلة عمياء
أخذه أبو العلاء فقال:

(١) الأبد: القوة

وكم عين تؤمل أن ترانى وتفقد عند رؤيتى السوادا

يريد: إذا رأيتن خفيت عليها، وكأنها عميت، وفقدت سوادها وقال
عمارة بن عقيل:

وما النفس إلا نطفة^(١) فى قراره إذا لم تكدر كل صفواً غدورها
أخذه أبو العلاء فقال:

والخل كالماء يبدى لى ضمائره مع الصفاء ويحفىها مع الكدر
وقال النابغة الذبياني فى النعمان:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
أخذه أبو العلاء، فقال فى قصر نزلته عروس ممدوحة فخرج من كان فيه
من حاشيته:

كان كالأفق حين همت به الشمس س تنادت نجومه بالمسير

وقال عدى بن الرعلاء:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
ألم به أبو العلاء فقال:

سالم أعدائك مستسلم والعيش موت لهم مرغم

(١) النطفة - بالضم: الماء الصافى قل أو كثر.

وقالت ليلي أخت الوليد بن طريف ترثيه:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على بن طريف
أخذه أبو العلاء وتصرف فيه فقال:

وما كنت أدري أن مثلك يشتكى ولم يتغير للرياح نسيم

وقال عبيد بن الأبرص يصف السحاب:

كأن أقرابه لما علا شطبا^(١) أقراب أبلق يبغى الخيل رماح
أخذه أبو العلاء فقال:

سرت لها ترمح أفلاءها فى الجو بلى عربيات

ذكروا أنهم يصفون السحاب بالبلق، لما فيها من لمع البروق، وهو قول حسن. والأقرب عندي أنهم يصفونها بذلك، لأن فيها ما هو رقيق، وما هو كثيف وما هو متقطع. فيخيل لناظرها أنها بلىقاء.

وقال الخطيئة:

يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ويعلم أن المرء غير مخلد
أخذه أبو العلاء فقال:

إذا أوتيت مالا فأبدلته فما يقيه توفير وخرن

(١) الأقراب: جمع قرب بالضم أو بضمين، وهو: الخاصرة. وشطب جبل معروف.

وقال الأفوه الأودى:

وقدور كالربي راكدة وجفان كالجوابي مترعه

أغار عليه أبو العلاء فقال:

وقدروهم مثل الهضاب رواكدا وجفانهم كرحيبة الأفياف^(١)

وقال كثير عزة:

وكنت كذات الظلع لما تحاملت على ظلعها بعد العثار استقلت

أخذه أبو العلاء فقال:

أودعكم يا أهل بغمداد والحشا على زفرات مأنيين من اللدع

وداع ضن^(٢) لم يستقل وإنما تحامل من بعد العثار على ظلع

وقال امرؤ القيس:

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أخذه أبو العلاء، وغلا بأن جعله قيذاً للريح، فقال:

وخيل لو جرت والريح شأوا ظننا الريح أوثقها إसार

وقال أبو فراس الحمدانى:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

(١) الأفياف، جمع فيف، وهى البرية الواسعة.

(٢) صنى كرضى، فهو صتنى رضى: مرض.

أخذه أبو العلاء فقال:

وأصبح واحد الرجلين إما مليكاً في المعاشر أو أبيلاً

وقال بديع الزمان الهمذاني:

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طلق المحيا يمطر الذهباً
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطق والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

أخذ أبو العلاء نصف شطر منه، وقصر أى تقصير، فقال:

إذا قيل بحر فهو ملح مكدر وأنت نمير الجود عذب الشمائل

وقال أبو حية النميري:

ولما أبت إلا التواء بودها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا برنق^(١) من هواها مكدر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا

والبيتان فى غاية الحسن، إلا أن أبا العلاء ضمن معناها فى بيت فقال:

ولما أن تجهمنى مرادى جربت مع الزمان كما أرادا

وقال أبو الشيص:

أجد الملامة فى هواك لذيدة طمعاً لذكرك، فيلمنى اللوم

أخذه أبو العلاء فقال:

(١) الرنق والرنق: الكدر.

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلى عذول

وقال أبو الشمقمق في حراقة^(١) طاهر بن الحسين:

عجبت لحراقة بن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيّدانها وقد مسها كيف لا تورق

أخذ أبو العلاء البيت الثالث، وزاد فيه بأن بين علة إبراق العود وأحسن

التعليل فقال:

من كل من لولا تسعر بأسه لا خضر في يمنى يديه الأسمر

وقال آخر في الحمام، وينسب للمنازى:

شجى قلب الخلى فقيل غنى وبرح بالشجى فقيل ناحا

قصر أبو العلاء في أخذه فقال:

فقلت تغنى كيف شئت فأئما غناؤك عندي يا حمامة إعوال

وقالت ولادة بنت المستكفى:

ترقب إذا جن الظلام زيارتى فأنى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنهم لم يسر

وقال أبو العلاء:

(١) الحراقة: سفينة فيها مراعى نيران، يرمى بها العدو.

منك الصدود ومنى بالصدود رضا من ذا على بهذا فى هواك قضى
بى منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا
ولم أدر أيهما أخذ من الآخر، لاجتماعهما فى عصر واحد. ولا يبعد
أن يكون من التوارد، إلا أن قول ولادة أبلغ!
أما قول أبى العلاء:

منى إليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسول

فلا يعد من السرقة فى شىء، وإن سبقه غيره إليه، لأن إرسال التحية
مع التسليم أو البرق من المعانى الشائعة التى تداولتها الشعراء، ولم تزل
تداولها. وإنما يظهر التفاضل بينهم فيها يحسن سبكها وإبرازها فى اللفظ
المقبول، والتلطف فى تصويرها، ولها تركت التنبيه عما وقع فى شعره منها،
كما أنى لم أعرض لما خفى ودق من سرقاته، لئلا يمر ناظر عليه من غير
تثبيت فينكره، ويمرمنى بالخطأ أو التحامل.

واعلم أن ما ذكرناه عن العرى فى هذا الباب قلما يخلو منه شاعر قديم
أو حديث، ولسنا بواصلين فيه إلى حد الجزم بأنه تعمد سرقة، إذ قد يعرض
المعنى للشاعر فينظمه ولا يمر بخاطره وقت نظمه أنه مسبوق به، وربما كان مما
لم يقف عليه فى شعره غيره. وباب التوارد واسع - كما وقع لطفه ابن العبد
وامرئ القيس فى قوله:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجميل

فأتى به طرفه فى معلقته مغيراً لقافيته فقط، فقال: (وتجمل) بدل:
(وتجميل)، وثبت عند الرواة أنه لم يطلع عليه قبل ذلك. وقال على بن

منصور الحلبي المعروف بابن القارح^(١): " وكان محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي، وحاف عليه كثيراً. وسألني يوماً أن أخرج معه، واستصحب مغنياً وأمره ألا يغني إلا بشعره، فغني:

لو كان كل عليل يزاد مثلك حسنا
لكان كل صحيح يود لو كان مضمي
يا أكمل الناس حسنا صل أكمل الناس حزناً
غنيت عني ومالي وجوه به عنك أغني

فقلت: أثقل عليك المؤاخذة؟ فقال: لا. فقلت: أبياتك مسروقة،
الأول من قول بعضهم:

فلو كان المريض يزيد حسناً كما تزداد أنت على السقام
لما عيّد المريض إذًا وعدت شكايته من النعم الجسم
والثاني من قول رؤبة:

مسلم^(٢) لا أنساك ما حييت لو أشرب السلوان ما سليت

مالي غني عنك ولو غنيت^(٣)

فقال: والله ما سمعت بهذا، فقلت: "إذا كان الأمر على هذا، فاعذر المتنبي على مثله، ولا تبادر إلى الخط عليه، ولا المؤاخذة له، والمعاني يستدعي بعضها بعضاً". انتهى.

(١) ابن القارح هذا الذي أرسل رسالته المشهورة لأبي العلاء المعري، فأجابه عليها برسالة الغفران.

(٢) يخاطب مسلمة بن عبد الملك. مراعاة للفظ في نظم الشعر كما جرى بذلك الشعراء.

(٣) رواية ديوان "رؤية" (ما بي غني عنك وإن عانيت).

ولابد لنا قبل ختم هذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة
وليس منها، كقول "الطغرائي":

وذى شطاط كصدر الريح معتقل بمثله غير هباب ولا وكل

وقول الحريري في مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة بائية:

وذا شطاط كصدر الريح معتقل صادفته بمنى يشكو من الحذب

قال الصفدي: "ومثل هذا لا يعد سرقة، لأن المعنى ليس ببديع، ولا لفظه بفظيح^(١)، ولا الطغرائي، عاجز عن الإتيان بمثله، بل جرى على لسانه. ونسى أن هذا لغيره، لعدم الاحتفال بأمره، إذ هو ليس بأمر كبير، وهذا - كثير الوقوع للناس، لا يكاد يسلم الفحول منه". انتهى كلامه.

وقال التنوخي في زهر الربيع: "وما يعد سرقة وليس بها، اشتراك اللفظ المتعارف كقول عترة":

وخيل قد دلقت لها بخيل عليها الأسد تهتصر اهتصاراً

وقالت الخنساء:

وخيل قد دلقت لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

انتهى

قلت: وتحقيق المقام أن الكلام المأخوذ يشترط فيه أن لا يكون ذا معنى كبير أو لفظ بالغ حداً ما من الرشاقة، فإذا أدمجه الشاعر في بيته جاء به غير مقصود لذاته، بل يجعله كالتوطئة لمعنى آخر مقصود له، بين البيت عليه. ويظهر ذلك فيما - استشهد به الصفدي والتنوخي، وهو كثير في شعر العرب

(١) أى. عظم.

والمحدثين، وقد وقفت منه على جملة صالحة، لو جمعت لجاءت رسالة لطيفة، كقول الراعي النميري:

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا ما اشترى المخزاة بالمجد يبهس
وهو مثل قول الأبيريد:

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء^(١) أعوزها القطن
وتبعهما "أبو نواس" فقال:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور
وقول "دريد بن الصمة":

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشد إلا ضحى الغد
وهو مثل قول "المتمس":

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى إلا مضيع

وفى هذا القدر كفاية. والكلام فى السرقات الشعرية وأنواعها واستيعاب ما قيل فيها، لا يتسع له مثل هذا المختصر. .، فإذا من الله بتوفيقه، وكان فى العمر مهلة، وضعنا فيها رسالة تستقل بجمع شتاتها، وتفصيل ما أجمل منها.

ومن غريب ما وقفت عليه من ملاحظاتهم، ما رواه على بن العباس الثوبختى "قال: قال لى "البحترى": أتدرى من أين أخذ "الحسن" (٢) قوله:

(١) السنة الشهباء: الكثيرة الثلج الجدية، والشهباء أمثل ن البيضاء. والحمراء أشد من البيضاء. وسنة غرباء: لا مطر فيها.

(٢) الحسن هو: "أبو نواس".

ولم أدر من هم غير ما شهدت به يشرقي ساباط الديار السباس

فقلت: لا، فقال: من قول "أبي خراش":

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنه قد سل عن ماجد محض

فقلت: المعنى يختلف، فقال: إنا نرى حذو الكلام واحداً، وإن اختلف

المعنى. انتهى.

قلت: إذا كان مراد البحترى مجرد البيان، فقد لاحظ ملاحظة دقيقة،

وإذا كان قصده الخط من "أبي نواس"، والنعى عليه، فقد - لعمري - ركب

متن عشواء، وتخبط في ظلماء، فإن احتذاء كلام العرب مطلوب في البلاغة،

وما حث العلماء على إكثار النظر في أشعارها واستظهارها إلا توصلاً إلى

ذلك.. ولولا محاولته ما صبرنا على الغدائر المستشزرات والقنو المتعشك،

بل لو لم يصقل البحترى شعره بتلك المسحة العربية، ما كانت له الديقاجة

الغريبة التي انفرد بها بين معاصريه، وبز بها أهل طبقتة. والله أعلم.

فصل فى مأخذ الشعراء من شعره

القول فى هذا الباب كالقول فى سابقه، فلهذا نقتصر على ذكر ما حضر منه، دون استيعاب سائره. فمنه قول أبى العلاء:

لا تطلبن بألة لك رفعة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له ربح وهذا أعـمـزل
أخذه أبو إسحق الغزى، فقال:
والحسن والقبح قد تحويهما صفة
ظبا المخارف^(١) أقلام مكسرة
شان البياض وزان الشيب والشتبا
رؤوسهن، وأقلام السعيد ظبا

وقال أبو العلاء يصف خيلا:

ولما لم يسابقهن شىء من الحيوان سابقن الظلالا
أخذه ابن أحمد يس فقال وأجاد:
ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب فى فراق رفيق

وقال أبو العلاء

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

(١) يقال: رجل مخارف بالمعجمة ومخارف بالمهملة الراء فيهما أى محدود ممنوع.

أخذه الطغرائى فقال:

ونفس بأعقاب الأمور بضيرة لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف أن يشفى الزلال غليلها إذا هي لم تشتق إليها الموارد

وقال أبو العلاء:

وما ازدهيت وأثواب جدد فكيف أزهى بثوب من صبا خلق
أخه الطغرائى أيضاً فقال:
لم أرتض العيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد تولت على عجل

وقال أبو العلاء:

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر
أخذه الطغرائى فقال:

مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع والشمس رآد الضحى كالشمس فى الطفل
قال الصفدى: ولكن قول المعرى أطف عبارة، وأحسن شارة وإشارة،
لأن الطغرائى أغرب لفظى رآد والطفل، وعذويه الألفاظ أمر مهم فى
البلاغة. انتهى. وقد ناقشه بدر الدين الدمامينى - فى نزول الغيث^١ بما لا
يخلو إيراده من فائدة، ونص عبارته: أقول الإغراب فى اللفظ هو الإتيان به
غريباً، وقد نص بعض الأئمة على أن الغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة
المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، فمنه ما يحتاج فى معرفته إلى أن ينقر

ويبحث عنه في كتب اللغة المبسوطة، ثم الغريب منه حسن، وهو الذى لا يعاب استعماله عند العرب؛ لأنه لم يكن وحشياً عندهم، مثل: اشمخر واقمطر، ومنه قبيح يعب استعماله مطلقاً، ويسمى الوحشى الغليظ، وهو أن يكون مع كونه غريب الاستعمال، ثقيلًا على السمع، كريهًا فى الذوق، ويسمى المتوعر - أيضاً مثل: اطلخم الأمر. وعلى كل تقدير فلا نسلم أن رآد والطفل من الغرابة فى شىء، كما ادعاه الصفدى. وفى قوله: وعذوية الألفاظ أمر مهم فى البلاغة، قرينة دالة على أنه أراد أن الرآد والطفل من الغريب المستكره فى الذوق، المسمى بالمتوعر، وظاهر أن ذلك خطأ نشأ من سوء الذوق، وعندم المعرفة - بكلام القوم والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم " انتهى كلامه.

وقال أبو العلاء:

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل
أخذه عفيف الدين التلمسانى فقال:

أسير ولو أن الصباح مواكب وأسرى ولو أن الظلام قتام
وقال أبو العلاء فى: " سيف ":

ودبت فوقه حمر المتايا ولكن بعد ما مسخت نمالا

أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال:

تريه المتايا الحمر فيه وجوهنا مماثلة الأرواح فى خلقة الذر

وقال أبو العلاء:

والمجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر
أخذه التهامى فقال:

لم أخف إلا للعلو وإنما تخطى السها لعلوه الأبصار
وقال أبو العلاء:

وفضل الشمس فى الأيام باق وإن مدت من الكبر اللعابا
أخذه ابن سناء الملك، فقال من قصيدة يهجو بها الشمس:
أنت عجوز لم تبرجت لى وقد بدا منك لعاب يسيل
وقال أبو العلاء:

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد
أخذ مهيار الديلمى فقال:

رويداً بأخفاف المطى فإنما نداس جباه فى الورى وخذود

وقال أبو العلاء فأجاد:

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز فى الحضر
إذا همى القطر شبتها عبيدهم تحت الغمام للسايرين بالقطر

أى: إذا أطفأ المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقطر، وهو العود ليهتدى
السايرى برائحته. قال الصفدى: وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله، على أنه ما
فارق المعنى، ولا خالف المعنى، وهو:

المكثرين من الكباء^(١) بنا رهم لا يوقدون بغيره للمارى

وقال أبو العلاء:

سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالأ

أخذه عصرينا "سليم رضى بك" رحمه الله - فقال فى: محمد

شريف باشا وزير مصر:

يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصدنا شريف

وقال أبو العلاء:

تحية كسرى فى السناء وتبع لربك لا أرضى تحية أربع

أخذه أحمد شوقى بك فقال فى مدح السلطان عبد الحميد:

سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام

(١) الكباء - ككساء: عود البخور، أو ضرب منه.

فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره

قال أبو العلاء:

جهل بمثلك أن يزور بلادنا يختال بين أساور وخالل
أو ما رأيت الليل يلقي شبهه حتى يجاوزها بحلة عاطل
وقال الوزير ابن زبدون:

قعيدك أنى زرت نورك واضح وعطرك نمام وحليك مرجف
هيك اعتررت^(١) الحى واشيك هاجع وفرعك غريب وليلك أغضف^(٢)
فكيف اعتسفت الهول وخطوك مدمج وردفك رجراج وخصرك مخطف^(٣)

أقول: مدار المعنى فى الشعيرين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوقة فى زيارة صاحبها، فتناوله كلا الشاعرين، وتلاعب به، فأبرزه فى الصورة التى شاء له اقتداره إبرازه فيها؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله، وتساويا فى الإحسان، فلا ارى للترجيح مدخلا بينهما. ويلوح لى أن كليهما اعتمد فى توليد معناه على قول ابى الطيب:

قلق المليحة وهى مسك هتكها ومسيرها بالليل وهى ذكاء

ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق، وإطالة التأمل.

(١) المعتز: الزائر - اعتررت زرت.

(٢) الأغضف: المظلم.

(٣) المخطف: المنطوى.

وقال أبو العلاء:

آلى أميرك لا يسرى الخيال لنا وكم تمت رجال فيك مغضبة
إذا هجعنا فقد أسرى وما علما أن يصروه فلم يظهر لهم سقمًا

وقال مانى الموسوس، وقد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر:

حجبوها عن الرياح لأنى قلت يا ريح بلغيتها السلاما
لو رضوا بالحجاب كان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما
فقال:

فتنفتست ثم قلت لطيفى ويك لو زرت طيفها إلاما
حيها بالسلام سرا وإلا منعوها لشقوتى أن تناما

أقول: خلاصة المعنى المبالغة فى الحجر عليها. فادعى أبو العلاء - أن
ولى أمرها بالغ فى حجبها، حتى حلف خيالها ألا يزور حبيها، ولكن الخيال
غافله وزاره، ولضناه فى حبه نحل، فخفى على من يترصد رؤيته. وقصر
مانى فلم تصل يده إلى الخيال. وبيتاه على ما فيهما من حسن التخيل وعذوية
الألفاظ ينحطان عن بيتى أبى العلاء.

وقال أبو العلاء:

ذكرت بها قطعاً من الليل وافيا مضى كمضى السهم أقصر من قطع
وقال آخر:

ظللنا عند دار أبى نعيم بيوم مثل سالفه الذباب

وقال آخر:

ويوم كإبهام القطة مزين إلى صباه غالب لي باطله

فأبو العلاء شبه الليل في قصره بالقطع، وهو النصل الصغير، والثاني شبه يومه في قصره بعنق الذباب، والثالث شبهه بإبهام القطة.

قال أبو يعقوب النحوى: وهذا أشد مبالغة من قول أبي العلاء، إلا أنه أغرب في الصنعة، من حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم، جاعلا مضى الليل كمضى السهم. اهـ.
